الحلقة (٣٠)

٢- العَلَم الجِنسِي

العَلَم الشخصي: وقد انتهينا من كل ما يتعلق بالعلم الشخصي، وبعض الأحكام التي تنطبق على العلم الشخصي تنطبق أيضا على العَلَم الجِنسي، ولذلك سمي (عَلَما) وإن كان في الحقيقة ليس تعريفه مثل تعريف العلم الشخصي من حيث القوة، فإنه في مرتبة أقل بل هو شبيه بالنكرة نوعاً ما لأن العلم الجنسي يعُم ولا يخص.

تعريفه: يقول المصنف أعني ابن هشام رحمه الله: (هو الذي يُعيِّنُ مسماه تعييناً ليس مطلقاً) مثلما قال في العلم الشخصي، ولكن تعيين (الـ) الجنسية؛ أي: تعيين ما دخلت عليه (الـ) الجنسية أو الحضورية، وسيتم تفسيرها لا حقاً.

فلو استمعت إلى قولك (محمد) فهو عَلَم على شخص بعينه فيعيّنه تعيينا مطلقا، لكنك لما تقول عن أسد من الأسود، (هذا أسامة مقبلا) لأنه يطلق أحياناً لفظ أسامة على الأسد، فإذا قلت هذا أسامة فلا تقصد به أسدا بعينه، بل تقصد به واحدا من جنس الأسود، كما أنك إذا قلت: (جاء الرجل) فإنه لا يقصد واحد من هذا الجنس بعينه، وإنما يقصد أي رجل، واحد من الرجال لكنه معرف بـ (الـ)، فحين تقول جاء الرجل مثل قولك جاء أسامة، فأنت تقصد بأسامة هذا ليس علماً من أعلام الإنس مثلا كأسامة بن زيد، وإنما تقصد بأسامة هذا أسدا، فهل تقصد به **الأسد ذا الرقم** (٣٠٠) في حديقة الحيوانات في الرياض على سبيل المثال؟ لا، بل تقصد حينما تقول جاء أسامة وأنت تقصد أسداً؛ تقصد واحداً من هذا الجنس، فهو عام من جانب ومعرفة من جانب آخر، عامّ من الناحية المعنوية و(معرفة) من الناحية اللفظية، وسيتبين ذلك إن شاء الله تعالى.

فإذن مرة أخرى: قال الله سبحانه وتعالى {اليوم أكملت لكم دينكم} اليوم يعني هذا اليوم و(الـ) في اليوم هذا في هذه الكلمة يسمونها (أل) الحضورية، ولما تقول هذا أسامة مقبلاً فكأنك قلت هذا الرجل مقبلاً، وحينما تقول هذا الرجل فإنك لا تقصد رجلاً بعينه وإنما تقصد واحداً من جنس الرجال، كما أنك تقول حينما تقول ذلك بالنسبة للأسد إنما تقصد واحدا من هذا الجنس، وليس أسداً بعينه، فهو لا يُعيِّنُ تعييناً مطلقاً وإنما يُعيِّن كما تُعين (أل) الجنسية أو (أل) الحضورية، فـ(أل) الجنسية في نحو قولك (جاء الرجل)، و(أل) الحضورية في نحو قول الله تعالى { الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ } يعني هذا اليوم الحاضر.

حينما قلنا إنه لا يُعيِّن مسماه تعيينا مطلقا، فما الذي جاء به في باب العَلَم؟ ونحن قد قلنا إن العلم الشخصي يُعين مسماه تعيينا مطلقاً، يعني يحدده ويحصره، وهذا لا يُحدِد فما الذي جاء به؟

هو جاء من الناحية اللفظية لأن العلم الجنسي يعامل من الناحية اللفظية مُعاملة العلم الشخصي، ألا تعلمون أن النكرة لا يجوز الابتداء بها، وهذا مع أنه من الناحية المعنوية كالنكرة لكن مع ذلك يجوز الابتداء به، معناه أنه مثل العلم الشخصي، فحينما تقول محمدٌ موجودٌ تقول أيضاً أسامة مقبلٌ، وأنت تقصد بأسامة أسداً من الأسود لا أسداً بعينه هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى لمّا مثلنا بهذا المثال فقلنا (أسامة) ولم نُنون (أسامة) مع أن هذه الكلمة لو لم تكن علما مثل كلمة (مُسلمة) (جاءت مسلمة) هذه في آخرها تاء فنوناها، فلماذا لم ننون كلمة أسامة لمّا قلنا (أسامة مقبلٌ)؟

قال: لأنها علم، طيب.. وإذا كان؟ قال علم هنا مؤنث تأنيثاً لفظياً، إذن أخذ حكم الممنوع من الصرف، لأن العلم إذا اجتمعت فيه علتان: العلمية والتأنيث يمنع من الصرف، فكما أنك تقول (فاطمةُ موجودةٌ) فلا تنونها، فكذلك تقول (أسامةُ موجودٌ) فلا تنونه، أيضا تستطيع أن تقول (هذا أسامةُ مقبلاً)، فمقبلاً حال، من صاحبه؟ أسامة، فلو لم يكن علما لما جاز

مجيء الحال منه، لأن الأصل في صاحب الحال أن يكون معرفة، فقلنا إنه يجوز الابتداء به، وقلنا إنه يجيء الحال منه وقلنا إنه يمنع من الصرف لكنه من الناحية المعنوية ليس كالعلم الشخصي، فإنه ليس خاصاً بأسد معين مثلا، وإنما هو عام في كل من يَصلح عليه أن يكون أسدا، فلما تقول (هذا أسامة) لا تعني به أسدا بعينه بل تعني به وجود أسد من الأسود، يعني من هذا الجنس، وهذا هو المراد بالعلم الجنسي، وهذا الذي يفترق به عن العلم الشخصي.

فالعلم الشخصي يُعيِن مسماه تعيينا مطلقا، يحُده، يحصرُه، يحدده، تقول جاء محمد، فهنا تَعيَّن وصار واحداً، ولما تقول جاء أسامة لا تقصد أسدا له رقم معين وصفة معينة، بل تقصد واحدا من الأسود، لكنه يشبه العلم الشخصي في الأحكام اللفظية، فإنه يُمنع من الصرف، ويَجيء منه الحال، ويُبتدأ به، ونحو ذلك من الأشياء اللفظية.

وبالمناسبة فكلمة (أسامة) علم جنسي لواحد من الأسود، (ثُعالة) لواحد من الثعالب فهو علم جنسي لواحد من الثعالب، (ذؤالةُ) لواحد من الذئاب، (أم عِريَط) جاء في أولها أم فيمكن أن يكون فيها أنواع العلم الشخصي التي هي الاسم والكنية واللقب، وكذلك يقال فيه مثلاً (أبو جَعْدَة) للذئب، و(أم عِرْيَط) للعقرب و(بنات أوبر) لنوع من النبات، و(ابن آوى) لنوع من الثعالب وهكذا.

فعندما تقول (أسامة أجرأ من ثعالة) فأسامة مبتدأ، وجاز الابتداء به، لأن فيه تعريفاً من الناحية العلمية فهو علم جنسي، وإلا لما جاز الابتداء به، لأن الأصل في المبتدأ أن يكون معرفة، ولا يجوز الابتداء بالنكرة إلا في مواضع محددة، أوصلها النحويون وأوصلها بعضهم إلى أكثر من ثلاثين نوعاً، وقد حددها ابن مالك في قوله:

و لا يجوز الابتداء بالنكرة   ما لم تفِد (كعِنْد زَيْدٍ نمرة)
و هلْ فتى فيكُمْ فَمَا خِلٌّ لنا   و رَجُلٌ من الكرام عندنا
و رَغْبَةٌ في الخير خيْرٌ و (عَمَل   بِر يَزِينُ) و لْيُقَسْ بما لَمْ يُقَل

وذكر بعض الأنواع وقال قيسوا عليها ما أشبهها، لكن في كلمة أسامة لا يوجد مسوّغ من المسوغات التي ذكرها ابن مالك أو غيره، ومع ذلك جاز الابتداء به، فعرفنا أنه معرفة بالعَلَمية، وحين نقول هذا (أسامة مقبلاً) الأصل في صاحب الحال أن يكون معرفة، وقد جاءت الحال هنا وصاحبها كلمة (أسامة)، ولو لم يكن أسامة علما لما جاز أن يكون صاحباً لهذه الحال، وكذلك كما ذكرنا قبل قليل أنه يمنع من الصرف لوجود علتين: ١/ العلمية، ٢/ كونه مختوما بتاء التأنيث، وقد يكون على وزن الفعل مثل (أوبر) أو غيره من هذه الأشياء التي توجب أن نمنعه من الصرف.

فهذه مقدمة كان لابد منها لبيان الفرق بين العلم الشخصي والعلم الجنسي، وقد ذكرت لكم بداية الأمر أن العلم الشخصي والعلم الجنسي تشترك في الأحكام اللفظية: (كالمنع من الصرف، وجواز مجيء الحال منه، وفي الابتداء به).

فما مسمى هذا العلَم الجنسي؟ هل هو مثل ذاك؟ يعني أولو العلم هل يمكن يطلق عليهم العَلَم الجنسي. أو لا يمكن؟

الجواب: أن الغالب أن لا يطلق عليهم، يعني (أولو العِلم) لا يُطلق عليهم العَلم الجنسي، وإنما هو في الغالب خاص بما لا يعقل، أو بما لا يؤلف، ولذلك أطلقوه على السباع وعلى بعض أنواع الحشرات، فقالوا في: (أسامة) اسم للأسد والأسد لا يؤلف، و(ثعالة) علَم للثعلب والثعلب لا يؤلف، و(أبو جعدة) قالوه للذئب والذئب لا يؤلف، و(أم عريط) قالوها للعقرب والعقرب لا تؤلف، و(بنات أوبر) نوع من النبات والنبات لا يؤلف، و(ابن آوى) لنوع من الثعالب وهو أيضا من الأنواع التي لا تؤلف، إذن الغالب في مسمى العلم الجنسي أن يكون لما لا يؤلف.

سؤال: هل يمكن في العلم الجنسي أن يأتي لما يؤلف؟

الجواب: نعم، ولكنه قليل جداً، قالوا: (هَيّان بن بَيّان) لمجهول العين والنسب، فمثلا رأيت شخصا أنت لا تعرفه ولا أحد

من الموجودين يعرفه، فقالوا من هذا أو سُئلت من هذا؟ فقلت: (هيّان بن بيّان) ما هذا؟ قال هذا علَم جنسي وأردتَ به مجهول العين، لأن ذاته وعينه لا تدري من هو، ومجهول النسب فلا تعرف أسرته ولا نسبه ولا قبيلته ولا أصله، فإنك تقول (هيان بن بيان)، أو تقول: (فعل ذلك هيان بن بيان)، فهو شخص مجهول في اسمه ومجهول نسبه ومجهول ذاته، فذاته غير معروف، وحين تقول فعل ذلك (هيانُ بن بيانَ) فما الذي يتبادر إليك من هذا الكلام؟

أما قوله (هيّان) فإنه مختوم بالألف والنون، وقد جاء ممنوعا من الصرف، وحين أسألك لماذا منعته من الصرف؟ ما الصرف الذي مُنع عنه؟ هذا جاء مضموماً بدون تنوين، هذا هو الممنوع من الصرف، لكن لماذا منعته من الصرف؟ كما ما تمنع كلمة عثمان من الصرف، وما الذي يمنع كلمة عثمان من الصرف؟ يمنعها من الصرف العلمية وزيادة ألف ونون، وكذلك هيان هنا ممنوعة من الصرف للعلمية وزيادة الألف والنون، ما إعراب كلمة (بيّانَ)؟ إعرابها مضاف إليه، والمضاف إليه ما حقه؟ حقه أن يكون مجرورا و(بيّانَ) هنا مجرور وعليها فتحة، وذلك لأن الممنوع من الصرف يجر بالفتحة.

فالقصد أن الأعلام الجنسية تعامل من الناحية اللفظية معاملة الأعلام الشخصية، فإذا اجتمع فيها علتان كأن تكون على وزن الفعل، أو مختومة بعلامة تأنيث، أو فيها علامة تأنيث أخرى مثل الألف الممدودة، أو الألف المقصورة، أو نحو ذلك، فإنها تمنع من الصرف، ويكون سبب منعها من الصرف علتان؛ إحداهما العلمية، وقد وضح هذا في قولك (نظرتُ إلى هيّانَ بنِ بيّانَ) كما ترى إن كلمة هيّان وكلمة بيّان كلاهما مجرورتان بالفتحة نيابة عن الكسرة لأنهما ممنوعتان من الصرف.

إذن: مسمى العلم الجنسي الغالب أن يكون مما لا يؤلف كالحيوانات والسباع والحشرات، مثلا في الخيول في الغالب لا يسمون به العلم الجنسي لأنه مما يؤلف، ولذلك سمَّو به من الأعلام الشخصية كما كنا نتحدث عن العلم الشخصي.

هل أُطلق العلم الجنسي على نوع من الخيول؟ قال: نعم يقال للفرس (أبي المَضَاء)، وذلك لأي فرس، ليس فرسا بعينه، لكن لو صار فرسا محددا لشخص معين فإنه يطلق عليه من الأعلام الشخصية، أما هذا فهو لواحد من أنواع الأفراس وليس لفرس بعينها، والفرس مؤنث، فحينما تقصد مجرد واحدة فإنك تسميها بـ (أبي المَضَاء)، وكذلك الأحمق من حقه أن يسمى بعلم شخصي لأنه من ذوي العلم، وهو نوع مما يسمى به العلم الشخصي، ولكنهم أيضا استعملوا للأحمق مثل ما يشبه اللقب له، أو الصفة، لكن ليس لواحد من الحمقى بعينه، بل لأي واحد من الحمقى، فأي واحد أحمق يقال له (أبو الدغفاء).

إذن: الأصل في العلم الجنسي أن يطلق على أعيان ما لا يؤلف، وقليل منه يطلق على أعيان ما يؤلف، وقد ذكرنا من أنواع العلم الشخصي الذي يؤلف (هيان بن بيان)، وهو لواحد من الناس لكن هذا الواحد مجهول العين والنسب، ولكن ليس لواحد بعينه ولكن يصلح لكل شخص مجهول الاسم والنسب يقال فيه (هيان بن بيان)، وأيضا يقال للفرس، لكل واحد من الأفراس، يقال له (أبو المضاء)، ويقال لكل واحد من الحُمْق (أبو الدغفاء) هذه نوعان.

وهناك نوع ثالث أن العلم الجنسي قد يطلق على أمور معنوية، ولما تحدثنا عن العلم الشخصي جعلنا مسماه نوعين فقط، فالنوعان الذين ذكرناهما هناك جاءا هنا معنا وهو في القسم الثاني من هذه الأقسام، وهو أعيان ما يؤلف فقلنا إن (هيان بن بيان) لمجهول النسب، وأبو المضاء يقال للفرس، وأبو الدغفاء يقال للأحمق، أما (ذوي العِلْم) فلا يأتون هنا، لذلك هم فقط في العَلَم الشخصي، وهم محدودون هناك وغير محدودين هنا، سواء في الصنف الذي قلنا أنه أعيان ما يؤلف، أو أعيان ما يؤلف، هناك محدود وهنا غير محدود.

بقي النوع الثالث الذي ليس موجودا في العلم الشخصي وهو أمور معنوية، فهي ليست ذوات أو مسميات حقيقية وإنما هي أمور معنوية، وهناك فرق بين الذات والمعنى، فالذات: هو الشيء المحسوس أما المعنى: فهو شيء غير محسوس وإنما هو مفهوم، وقالوا من ذلك: أنهم أطلقوا كلمة (سبحان) وأرادوا بها التسبيح، والتسبيح أمر معنوي، إذن: هذه كلمة أطلقت

وتسمى بالعَلَم الجنسي وهي خاصة بأمر معنوي، أيضاً قالوا: (كَيْسَان) والمقصود به الغدر، فقد يقال هذا غدر وقد يقال مكانه كيسان، فحينما تقول كيسان فإنه سيصير مختوما بالألف والنون وتمنعه من الصرف للعلمية الجنسية وزيادة الألف والنون، أيضا يأتي مما يدل على العلم الجنسي ألفاظ على وزن فَعَاَل ولكن هذه الألفاظ تبنى على الكسر فيقولون: (يَسار) وهو مبني على الكسر، ويريدون به اليُسْر والميسرة، ويقولون (فَجَار) ويريدون به الفُجور أو الفَجْرة الواحدة، فإذن: هذه مصادر، والمصادر أمور معنوية، وكذلك يقال للبِرْ يقال له (بَرَّة)، فيمنع من الصرف أيضا للعلمية الجنسية ولكونه مختوما بالتاء، فيكون فيه العلمية والتأنيث اللفظي؛ لأن المصدر الأصل مُذكر وهو (البِر)